**المحاضرة الأولى: أصل اللغة**

1. **تعريف اللغة**: اللغة هي نظام معقد يستخدم للتواصل والتفكير، وهي تتشكل من رموز وقواعد محددة تربط بين الصوت والمعنى في إطار اجتماعي وثقافي.

هذا النظام التواصلي لطالما كان محط تساؤلات عديدة واستفسارات عميقة، تبحث في أصل اللغة ومعناها؟ وكيف وضعت الكلمات لأول مرة؟ ومن هو واضعها؟ والعديد من الأسئلة. وهو ما سنبحث فيه في هذه المحاضرة.

1. **لمحة تاريخية**:

في بداية الأمر ارتبط الأمر بموضوع الغيبيات أو لنقل بطابع ديني« فنجد في الكتب السماوية بأن اختلاف اللغات مردّه إلى عقاب الله عزّ وجل للإنسان على ذنوبه وغروره. وكلنا نعرف قصة برج بابل الذي قيل في الكتاب المقدس la bible بأن أولاد نوح عليه السلام أرادوا تشييده لبلوغ السماء، ففرق الله كلمتهم وخيّب سعيهم بتغيير لغاتهم»[[1]](#footnote-1) في حين عارض القرآن الكريم هذه القصة بماء جاء في سورة الروم ﴿ **ومن آياته أن خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين** ﴾ الروم الآية 22.

وجاء في سفر التكوين « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليحمل كلّ منها الاسم الذي يضعه له الانسان، فوضع آدم أسماء جميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول»[[2]](#footnote-2) أصل اللغة هو موضوع مثير للجدل ويطرح تساؤلات معقدة لا يزال العلماء والفلاسفة يناقشونها. هناك عدة نظريات حول كيفية نشوء اللغة وتطورها عند البشر.

1. **نظريات نشوء اللغة**:
2. **النظرية التوقيفية**:

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة هبة من الله تعالى، ولا شأن للإنسان بوضعها، وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني هيرقليطس الذي رأى أن الأسماء وضعت على شاكلة الأشياء وهي لها كالقالب. وهذا الموقف نجد ما يقابله عند الأئمة العرب، بما أن اللغة هي لغة وحي ويمثل هذا الموقف ابن فارس(395هـ) إذ يقول: « إن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى جلّ ثناؤه﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها..﴾ فكان ابن عباس يقول: علمّه الأسماء كلّها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك»[[3]](#footnote-3)

أمّا في العصر الحديث فقد انحسرت هذه النظرية نوعاً ما، إلاّ أنها لم تندثر نهائياً، ففي القرن الثامن عشر نادى بها المفكر الفرنسي دي بونالد، الذي رأى أن « اللغة ليست تواطئيّة من خلق الإرادة البشرية فالناس لم يتفقوا فيما بينهم على أن يكون ثمّة لغة فكان هناك لغة . . . فالإنسان لا يقدر على خلق شيء ما لم يكن لديه فكرة صريحة عنه، ولكي يحصل على هذه الفكرة الصريحة ينبغي له أن يعبّر عنها، إذن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها، مما يفيد أن اللغة ليست من عمل القوى البشرية، إنها من لدن الله»[[4]](#footnote-4).

1. **النظرية الاصطلاحية**: ويمثل هذا الموقف عند الفلاسفة اليونان هرموجين، حيث يرى بأنها نتيجة للاتفاق والاصطلاح، وهو بهذا الموقف كان متأثرا بالفيلسوف ديمقريط من القرن الخامس ق.م الذي كان يرى أن وضع اللغة إنما هو مسافة اتفاق بين الناس وتواضع فيما بينهم ولا دخل فيها للقوة الإلهية[[5]](#footnote-5) وعند العرب يرى ابن جني(300هـ\_ 392هـ)، أن « أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنّما هو تواضع واصطلاح، لا وحي ولا توقيف، وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الغبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحدة منها سمة ولفظا، إذا ذكر عرف بمسماه، ليمتاز عن غيره ويغني بذكره عن احضاره إلى مرآة العين، فيكون بذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلّف احضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله»[[6]](#footnote-6) ابن جني في تفسيره للآية وعلم آدم الأسماء كلها، هو أقدر أي أوجد لدى آدم القدرة على وضع الأسماء.

وفي العصر الحديث فإن اللساني الشهير دي سوسير، يدعم هذه النظرية مؤكدا على اعتباطية العالقة بين الدال والمدلول في إشارة صريحة إلى أن الناس تواضعوا على معاني الأشياء، ويدعم فرضيته هذه بقوله:" وحجتنا في ذلك إنما هي الاختلافات القائمة بين اللغات ووجود اللغات المختلفة[[7]](#footnote-7) وما يدعم هذه النظرية هي حاجة الانسان للتواصل.

1. **نظرية المحاكاة**: هذه النظرية تدعم الموقف الذي يذهب إلى ان أصل اللغات إنما هو الأصوات المسموعة ومحاكاتها.

وهي إحدى نظريات نشأة اللغة عند العلماء، وتقوم بناءً على تصور أن الإنسان أراد تقليد الأصوات من حوله فجرب أن يقلد فحيح الحية تارة وصهيل الفرس وحنين الرعد وما إلى ذلك؛ مما أحاط به من الأصوات، لقد كانت محاولة الإنسان الأولى أن يكون ابن بيئته، أو أن يخفف من اغترابه عن ما حوله من مخلوقات. فهي حتما لا تستطيع أن تحاوره، مما دفعه لمحاولة أن يحاورها وفي خضم تقليده ومحاكاته تلك بدأ يكتشف تطور حنجرته وبدأ يُكون المقاطع، ومن هنا نشأت اللغة، وقد قال بذلك من القدامى: الفراهيدي وتلميذه ابن سيبويه وابن جني ومن المحدثين: جسبرسن وهيردر ومن العرب: إبراهيم أنيس وعلي عبد الواحد وافي[[8]](#footnote-8)

**الأستاذة: بلحاج كريمة**

**18/10/2024.**

1. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980، ص 21 [↑](#footnote-ref-1)
2. المرجع نفسه، ص22. [↑](#footnote-ref-2)
3. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، بيروت 1964، ص 31. [↑](#footnote-ref-3)
4. الحاج كمال يوسف، في فلسفة اللغة، دار النهار، بيروت لبنان، ط2، 1978، ص26 [↑](#footnote-ref-4)
5. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص24. [↑](#footnote-ref-5)
6. ابن جني، الخصائص، القاهرة 1952، جزء الأول، ص 44 [↑](#footnote-ref-6)
7. فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر : يوف غازي، مجيد نصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، دت، دط، ص 90. [↑](#footnote-ref-7)
8. منة التلاوي، أصالة الإنسان.. كيف نشأت اللغة؟، 24/5/2017، <https://www.aljazeera.net/midan/intellect/sociology/> [↑](#footnote-ref-8)